# البنيان الاجتماعي والثقافي لمحافظة إب
# في ضوء العلاقة بين المكونات الحضارية وخصائص النظم الاجتماعية لليمن في المنظور السوسيو تاريخي والثقافي
## دراســة تحليليــة بنائيــة

د. عبد الله محمد الفلاحي(*)

**خلاصة البحث**

بمنهج تاريخي وصفي مقارن بأسلوب التحليل والتركيب استهدف البحث الكشف عن القسمات العامة لمكونات البنيان الاجتماعي والثقافي لمحافظة إب بما يتضمنه من أنساق اقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية وأنساق الضبط السياسي والاجتماعي في ضوء المكونات الحضارية والتاريخية وخصائص النظم الاجتماعية للمجتمع اليمني عموماً والمحافظة خصوصاً ووفق المنظور السوسيو تاريخي الثقافي ( التحليلي – البنائي ) ، ووفق ما توفر من مصادر ، وبأسلوب الملاحظة غير المباشرة ( المعايشة ) كشف هذا البحث عن جملة من الخصائص التي تميز بها البنيان الاجتماعي والثقافي لمحافظة إب ( رغم صلة ذلك البنيان الاجتماعي للمجتمع اليمني عموماً ) عن غيرها من المحافظات وكان وراء هذا التميز جملة عوامل جغرافية ديموجرافية – تاريخية – اجتماعية – ثقافية حضارية ، ويعتقد الباحث أن تلك الخصائص قد تجسدت أكثر في الجانب العلمي والثقافي والفكري عبر حقبة تاريخية طويلة ، وأن المحافظة تمثل كنزاً للتراث الثقافي والفني وما يزال هذا التميز محافظا على مكانته حتى اللحظة مع القبول ببعض التباينات صعوداً وهبوطاً مع محافظات أخرى بحكم تغيير الوظائف التقليدية للمدن اليمنية في العصر الحاضر أو في الماضي القريب.

(*) أستاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب جامعة إب

## تمهيد :

يهدف البحث إلى الكشف عن القسمات العامة لطبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية لمحافظة إب في ضوء المكونات الأساسية للبناء الاجتماعي للمجتمع اليمني عامة ، وللمجتمع المحلي ( المتمحور حول محافظة إب خاصة ) بمنهج سوسيولوجي تاريخي ثقافي يطبق قواعد الدراسة الاجتماعية العلمية التاريخية – والوصفية ، والمقارنة مع تطبيق قاعدة الملاحظة غير المباشرة ، (المعايشة) للمجتمع المحلي وفق منهج الدراسة الأنثرويولوجية ويعتمد عنصر التحليل كأساس لفهم مكونات البناء الاجتماعي ، وإيضاح طبيعة الأنساق والنظم الاجتماعية المتكونة من هذا البناء ، وبيان طبيعة هذه الاتساق والنظم، وخصائصها، على أساس من الترابط في العلاقات بين هذه الأنساق والنظم من جهة ، وترابط الخصائص والصفات الخاصة بها، بالمكونات والمقومات الحضارية التاريخية لهذا المجتمع خاصة والمجتمع العام عامة ، من جهة أخرى . ولا يخفى على القارئ ندرة المصادر ، وقلة الدراسات الخاصة والمستقلة عن هذا الموضوع بصفة خاصة وعن الموضوعات الأخرى بصفة عامة ، إلاَّ ما نجده من هنا وهناك في ثنايا الدراسات الجغرافية والتاريخية عامة ، ونتف من بين سطور المقالات والأبحاث القليلة وذات الإفادة غير المباشرة ، فضلاً عن ضيق الوقت ، أو المساحة المتروكة لنا ، مما حال دون خلو البحث من هنات هنا أو هناك ، وقد قسمناه إلى قسمين :

الأول : يتناول البناء الاجتماعي وفق مكوناته الأساسية.

الثاني : يتناول البناء الثقافي والفكري ، وفق طبيعته وتاريخيته، ونأمل من القارئ أن يتجاوز جوانب القصور غير المقصودة ، والله من وراء القصد.

القسم الأول

## البنيان الاجتماعي لمحافظة إب عبر التاريخ في ضوء العلاقة الجدلية بين مكونات البناء الاجتماعي للمجتمع .

أ – يتكون البناء الاجتماعي لأي مجتمع محلي من ثلاثة أسس فيزيقية واجتماعية هي :.

١ – البناء الديموجرافي .Demography Structure

٢– البناء الايكولوجي.Ecology Structure

٣ – البناء الثقافي Culture - Structure

ومن هذه الأبنية الثلاثة : تتكون الأنساق الأجتماعية على النحو الآتي : .

### الأنساق المجتمعية ( النظم الاجتماعية )

| النسق الاقتصادي | | | النسق القرابي | | | القيم الاجتماعية | أنساق الضبط الاجتماعي | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| Eco. System. | | | Family System | | | | Control System. | | |
| نظام الملكية | نظام الإنتاج | نظام التبادل | نظام الزواج والمصاهرة | نظام القرابة والعائلة | نظام الإرث | Socivalues | النسق الديني | النسق السياسي | نسق العرف الإجتماعي |

وعند تطبيق هذه الأنساق والنظم على البناء الاجتماعي لمحافظة إب سنجد من جهة أولى: تداخل هذه النظم ببعضها في حال الثبات أو التغير ، وهذه قاعدة اجتماعية ثابتة [١] . فطبيعة الحياة الاقتصادية للمحافظة تلقي بظلالها على نمط التركيب الهرمي للفئات والشرائح الاجتماعية ، وتؤثر في طبيعة العلاقات والنظم الاجتماعية والثقافية. فضلاً عن طبيعة التركيب الجغرافي والحيوي وأثره في شكل النظم الاجتماعية وخصائصها ومن جهة أخرى تسير العلاقة بين هذه النظم بطريقة طردية أو عكسية في التغير

الاجتماعي الذي يفترض أنه الأساس الذي تحكم به الحياة الاجتماعية ، و يمكن أن نوجزها بما يلي :.

## ١] النظام الإقتصادي لمحافظة إب :

أ ) **نظام الملكية** : ساد نمط المعيشة الريفي ، الزراعي ، القروي في المجتمع اليمني عموماً ، ومحافظة إب خصوصاً لزمن طويل ، و ارتبطت حياة أهل المحافظة حول الحقل والبيت أو العائلة والمزارات ، وبيوت العيادة والساحات العامة (الأسواق) ، والعلاقات الأولية الشخصية الوثيقة. [٢] وحول هذا تبلور النظام الإجتماعي للقرية والمدينة على حد سواء، مع إختلاف بسيط في وظيفة المراكز والمدن للمحافظة (السياسية ، التجارية ، الدينية ، الثقافية).

وقد اتصلت نوعية الملكية بالوضع الإجتماعي ، نتيجة للتفاوت في توزيع الأراضي ، ثم تمركزت الوحدة الإنتاجية حول الأسرة ، واتصلت بها كذلك علاقة الملكية والنشاط الاقتصادي بالقيم الدينية والبنية السياسية في القرية والمدينة .

وقد توزعت الملكية إلى خمسة أنواع رئيسية :

أ – الأرض الملك : وطرق حيازتها المختلفة : (الإرث الشراء البسط والاستيلاء القهري) بحكم التشريع الديني والعلاقة السيدوية بين القوى الاجتماعية .

ب- الأرض الأميرية

ج – الأرض الوقف : وهي نوعان : (وقف ذرية ، ووقف عام للخدمات الدينية والتعليمية والمقابر) ولها مصدران : ١- الأفراد ٢- الحكام والأمراء

د – الأرض الموات : وهي المتروكة من الفلاحة ، ومن ثم هجرها أهلها.

٥ – الأرض المشاع : وعادة تكون الأرض المشاع والموات في الجبال والهضاب المستخدمة غالبا للرعي ، وقد كانت كثيرة وقائمة حتى وقت ليس بالبعيد[٣] وقد تراجعت مساحتها بحكم النشاط السكاني الآن .

**ب) أما نظام الإنتاج** : فقد ساد المحافظة (مثل بقية أجزاء اليمن) أنماط الأنتاج ماقبل الرأسمالية، أتسمت بعدة سمات أهمها : –

١ – اعتماد الإنتاج على قوى تقليدية تمثلت بالأرض ، ثم الري وهو يعتمد أسلوبين– مياه الأمطار الموسمية التي عادة ما تكون صيفية. وتشمل أغلب مناطق المحافظة.

٢ – الري اليدوي بواسطة السيح أو النضح، وهذا يمثل أقل من ثلث الأرض الزراعية للمحافظة ، وتشمل المناطق الشمالية الشرقية وبعض المناطق الغربية، وقليل من المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية [٤] وبمستوى متأخر في أدوات الإنتاج ونوعيته[٤]. إلا ما ندر من استخدام الآلات الحديثة بعض الوديان المنبسطة في الوقت الحاضر .

٣– تركز نشاط الإنتاج على سد الحاجات الأساسية للسكان ، وما وجد من ريع في الإنتاج يوجه إلى مراكز المدن والأسواق المحلية ، وعاصمة المحافظة ، ولكنه لم يشكل فائض قيمة ، وإنما نوع من الإنتاج الصغير ، اللهم إلا إذا عدنا إلى عصور قديمة كان الفائض في المحافظة يتخذ شكل التبادل السلعي.

٤ – اتسم الاقتصاد والإنتاج بمستوى ضعيف في الانتاجية. أما النشاط الحرفي والصناعي فقد أعتمد على الحرف التقليدية المصاحبة للعمل الزراعي ، وكانت جنباً إلى جنب مع الزراعة تقوم على التبادل .

حيث أن التبادل في السلع هو السائد في تاريخ المحافظة القديم على مستوى المناطق المجاورة أو على مستوى التبادل مع العالم الخارجي ، وقد تراجع إلى حد كبير ، حتى قل التبادل السلعي وضعفت أهميته مع ندرة السلع المصدرة مقابل المستورده ، ناهيك عن التحول إلى القيم النقدية منذ فترة طويلة(٥).

٥- الأهم من ذلك ، أن الإنتاج بأنواعه ، والزراعة منه خصوصاً ، قد ساده الطابع الجمعي (التعاوني) وهو مفهوم جسده اليمنيون في هذه المحافظة وغيرها من المحافظات منذ زمن بعيد ، ولا تزال أثاره واشكاله الباقية سائدة حتى اليوم ، وخصوصاً في الريف والقرى الأكثر بعداً عن مراكز المدن .كما تؤكده الحقائق التي نعيشها نحن ، أو الأدبيات التي أرخت للعمل التعاوني في اليمن منذ زمن بعيد[٦].

## ٢] النظام العائلي والأسري في محافظة إب :

### أ)- النسق القرابي :

١- نظام الزواج والمصاهرة: وهو يعتمد في الأساس على الصلة بالملكية ، وعادة ما يتصف بأنه:

أ) يعتمد نظام الدائرة المغلقة داخل العائلة ذات الأب أو الجد الواحد ، حتى لا تفتت الملكية أو تخرج من نطاق الورثة الفعليين للعائلة، لكنه تراجع في الوقت الحالي بفعل تفتت الملكية والانفتاح الاجتماعي .

ب) يمتد نطاقه من قرابة النسب والرحم، إلى قرابة العصبية. بغية الحفاظ على الوحدة العضوية للقبيلة أو العائلة الممتدة ،سواء في داخل التجمع السكاني (القرية أو الحي) أو خارجه أي من بني الأعمام وبني الأخوال أو ما تناسل منهم[٧] .

ج) قد يخرج عن نطاق العائلة أو العشيرة إلى غيرها ، بسبب تشابك المصالح والعلاقات القائمة على تبادل المنافع ، والمصالح الإجتماعية والإقتصادية. وهذا بالطبع قد تغير كثيرا خصوصا في ظل التواصل بين الريف ومراكز المدن ، ولكن اعتماداً على مدى العلاقة التقليدية بين الفئات والشرائح الاجتماعية ذات الأصل الواحد ، أو ذات النشاط الاقتصادي المتشابك.

د) يتصف نظام الزواج بالطريقة المبكرة ، وعدم تنظيم الإنجاب ، والقرار الجماعي للعائلة ، بدلاً من الفردية ، وهذا بالطبع تغير إلى حد ما بعد قيام الثورة اليمنية

وتطور الوعي ، ونمو الثقافة السكانية والاجتماعية على الأقل في الآونة الأخيرة ، وخاصة في المدينة.

٢- نظام القرابة والعائلة في محافظة إب : شأن بقية المحافظات ، مع الاختلاف النسبي بين مراكز المدن والأرياف. فأن التنظيم الاجتماعي يتصل بالعائلة ، ويقترن أسم العائلة بالمسكن الذي تسكنه العائلة ، فالمديريات سميت بأسماء أكابر أفراد العائلات ، مثل بعدان وجبلة. بل أن بعض القرى والأحياء السكنية قد تحمل اسم أول عائلة سكنته، ويتوارثه الأفراد جيلاً بعد جيل. فالبيت أو الدار يحمل اسم العائلة ناهيك عن أسم القرى أو العزل ، مثل : بيت مراد ،وقرية المقالح ، وعزلة بني مدسم ، وذي عقيب ، والسروة ، والظهابي، وبني مليك ، وبني زهير ، وبني عبد السلام ، وبيت الحذيفي ، وبيت الدعيس ، وبلاد شار ، ونحوها ... ، ومثلها بعض مراكز المدن وأحيائها مثل السحول ، والمعاين ، ومذيخرة ، وبيت مراد ، وبيت البعداني .(٨)

٣- أما نظام الإرث: كجزء من النظام الاجتماعي ، فانه يتخذ أسلوبين أو نمطين :

الأول : إعتماد نظام الإسلام في حكم التوريث ،على أساس للذكر مثل حظ الأنثيين ، وهو سائد منذ فجر الإسلام ، ولاندري إن كان قبل الإسلام كذلك ، أو أنه يحرم المرأة ، ويورثها ، أوأنه يتبع نظام التوريث اليهودي.

الثاني : توريث خاص: للذكور في كثير من المناطق ولفترة طويلة وخاصة بارض الوقف الخاص الذي يورث للذكور دون الإناث ويسمى (وقف الذرية).

**ب- النظم والقيم الاجتماعية :**

١- تتركز الوحدة العضوية للتكوين الإجتماعي ، للشرائح الأجتماعية في المحافظة ، حول العائلة الممتدة ،ذات الأهداف والمصالح والأصول المتشابكة ، منذ التاريخ القديم ،

وعصر الممالك أوالدويلات القديمة التي نشأت في هذه المنطقة ، وسميت بأسماء رموزها ومناطقها ، و لم تتراجع إلاّ عند دخول اليمن ضمن الدولة العربية الإسلامية.

٢- سيطرة المفاهيم والعلاقات التقليدية القديمة والمتمثلة في :-

أ) النظام القبلي والتعصب له.

ب) الانتماء إلى الأقسام الجغرافية والإدارية في المناطق التي تخف فيها الروح القبلية ، وتتركز في المناطق الجنوبية والغربية من المحافظة ، لبقاء الروح القبلية لدى العوائل القادمة من الشمال (النقائل).

ج) الانتماء إلى أسر أو سلالات للعوائل والأفراد الذين لا ينتمون إلى الأشكال السابقة مثل: (السادة) ، والفئات الوافدة أو المنحدرة من أصول أخرى في مناطق يمنية أخرى ، أو أصول أجنبية وافدة من خارج اليمن مثل : (بيت باسلامة ، بيت الشامي ، بيت الشهاري ، بيت السقاف ، بيت الديلمي ، بيت الحضرمي ، بيت الباشا ، بيت السريحي ، بيت الصنعاني ، بيت الجوفي، بيت الصبري ، بيت النهمي ، بيت العنسي).

د ) الإنتماء إلى المهن والحرف المتوارثه بوصفها اساس المكانة الإجتماعية ( بيت الحداد ، بيت الصانع، بيت الخياط ، بيت الرعوي ) ، ( بيت النجار ، بيت القاضي ، بيت المجمر) الخ.... [٩].

٣- تتركز القيم الروحية ، والمعنوية بين سكان المحافظة (ريف-مدن ) حول مفاهيم قيمية، تتضمن: قيم الأرض ، والزمن بالنسبة للريفي ،وقيم العائلة ، والشرف ، وقيم المعيشة بالنسبة للمدينة ، وقيم الدين بالنسبة للجميع .

أما القيم الطبقية: فأنها تأرجحت بين الظهور ،والاختفاء مع طبيعة المعيشة والنظام الإقتصادي، فقد وضحت قديماً ، وذابت في العصر الوسيط الإسلامي، وعادت بعد قيام الدويلات التي اتسم النظام السياسي حينها بطابع أسري وطائفي ( ديني –

عرقي) ، وظلت كذلك إلى قيام الثورة اليمنية سبتمبر وأكتوبر ١٩٦٢م، ١٩٦٣م ثم ذابت بفعل الحراك الاجتماعي منذ الستينات، وحتى نهاية الثمانيات ، وما بعدها. فقد بدأت تتضح تبعاً للتطور الاقتصادي والنظام المنفتح، حيث خفت نزعة المساواة وعادت القيم الإقتصادية ،وقيم الإنتاج والملكية لتفرض تقسيماً طبقياً جديدا واضحاً. ومع ذلك فأن الوضع الإقتصادي والسياسي لسكان المحافظة لايسمح بهذا الوضوح في التمايز. حيث أن الموجود لا يعدو سوى شرائح متداخلة، بحيث صار القروي أقل التزاماً بقيم الريف الموغل في القدم، و لم ينقلب المدني أويتخلى عن قيم الريف ليأخذ قيماً طبقية مدنية كبيرة ، كما هو شأن المدينة العربية المعاصرة [١٠] ، بحكم التواصل الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وحالة الإندماج المستحدثة نتيجة للتطور الشكلي للبنى الاجتماعية*.

**٣] التركيب الهرمي للشرائح الاجتماعية لمحافظة إب (بين البداية والتطور التاريخي، والواقع الحالي):**

**أ) قبل الإسلام** : (عصر الدويلات القديمة السبيئة والمعينية والحميرية–): مثلت محافظة إب بحكم موقعها الجغرافي ، وخصائص تكوينها وطبيعتها مركزا حضاريا ، ومعقلا لكثير من الدويلات القديمة: (الدولة الحميرية خصوصاً) ، بعاصمتها التاريخية (ظفار)، في أهم أجزاء المحافظة خصباً واستقراراً. إلاَّ أن المصادر التاريخية تشير إلى أن المحافظة شكلت جزءاً من نسيج مترابط يعبر عن مجتمع متداخل يتألف من (عدة شرائح إجتماعية) محكومة بعرف سياسي واقتصادي تعاوني، غايته: توفير الدفاع عن القوة الاقتصادية وحركاتها ، وعلاقاتها التجارية ، لضمان التكافل في الحياة اليمنية القديمة ، فضلاً عن وحدة الوجدان في تاريخها القديم ، والإسلامي ، تجسد في صد الغزوات الأجنبية ، واحتواء أثارها[١١].

* يقصد بها تداخل في الفئات والشرائح الاجتماعية يقصد كانت تمثل دوائر مطابقة وهذا مر

وقد تكون هرم اجتماعي ينسجم ، مع الوظيفة ، ونظام الحياة التي سادت المحافظة خاصة واليمن عامة تمثلت في :

أ – **الأقيال** : وهم يمثلون السلطة المحلية في المحافظة أوالمناطق الخاصة بهم ، ومهمتهم تنظيم مجالس المسود ، (المجالس المحلية ) لتنفيذ سلطة الدولة المركزية في المجتمع المحلي : = الفئة العليا ، أوالأعيان وقمة الشعب .

ب – **أهل المدن أو المراكز:** ممن يعملون في التجارة ، والمعابد الدينية ، وحراسة الإلهة، (والقبائل المتحضرة).

ج – **الحرفيون والفلاحون** : وهم أفراد الشعب والجماهير الدهماء ، (البسطاء) ، ولايوجد منهم الصيادون، أو البدو الرحل إلاَّ ما ندر من الآخرين على الأطراف الشرقية من المحافظة بحكم طبيعتها الجغرافية والتضاريسية والمناخية ذات النمط الزراعي المستقر .

د - **وأضاف العصر الحميري إلى الشرائح السابقة** : (الأعيان = النواب) ، ثم المهرج = الموظفين العسكريين ) ثم الأقياض.[١٢]

ب) **في صدر الإسلام وبعده** : (فترة المخاليف والدويلات في العصر الوسيط الإسلامي) أعاد الإسلام تشكيل الهرم الإجتماعي اليمني عموماً ومحافظة إب خصوصاً ، لما تميزت به من قرب من مراكز استقبال الدعوة الإسلامية ، واستجابة أهلها السريع لها ، والتفاعل الوظيفي مع مجمل أنشطة الدعوة الإسلامية ، وخصوصاً في إنابة الدولة العربية والإسلامية في شئون الخراج ، واستثمار الأرض واحتكارها ، ومن ثم إعادة توزيع الشرائح الاجتماعية ، بما يتفق وتركيبة الدولة الإسلامية لما بعد الخلافة الراشدة (أمويون، وعرب ، وموالي ، وأهل الذمة ، والعبيد) وصار النظام السياسي مثلما هو في النظام الاقتصادي أقرب إلى الوراثي منه إلى الشورى ، وخصوصاً في عصر الدويلات والعصرين العثماني،

والإمامي [١٣]). وقد امتاز التركيب الهرمي للبنيان الاجتماعي للمحافظة في تلك العصور: (حميري ، إسلامي ، عثماني ، إمامي ) بما يأتي:-

أ – التنظيم الداخلي للقبائل في عصر الدولة الحميرية في (ظفار).

ب – بروز فئة الكواهل والراشدين داخل القبيلة .

ج – استقلال سكان المدن ومراكز المحافظة بالإدارة الذاتية ( اللامركزية + المركزية) .

د – حفظ حقوق الأقليات الدينية ( اليهود حصراً ) من خلال المعاهدة .

هـ – أوجد ظهور الإسلام والعصر الإسلامي صورة جديدة للهرم الإجتماعي في اليمن عامة والمحافظة خاصة تمثل في : [١٤] .

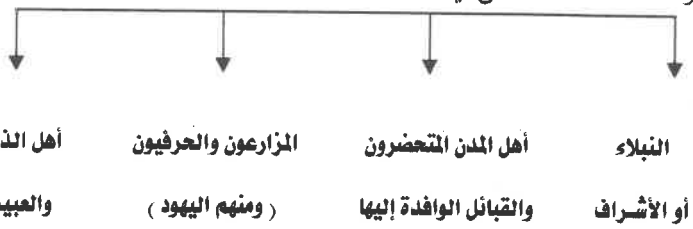


البنيان الاجتماعي والثقافي لمحافظة إب

و – أما في عهد الدولة الصليحية (وهي التي جعلت من مدينة جبلة مركز حكمها لليمن كله)، ومحافظة إب مركز نشاطها وحصراً في ق (ق ١٢ – ١٤م ) حتى حكم العثمانيين لليمن ، فقد تميزت الهرمية الإجتماعية بالحصيلة الأتية : [١٥].

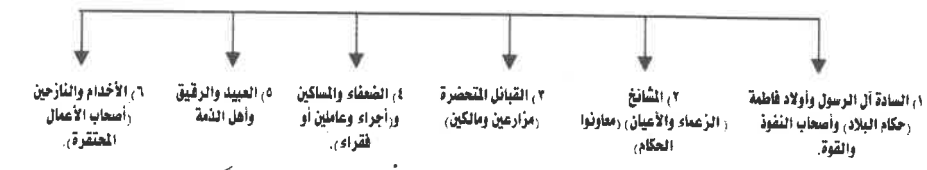


ز – وأما في عهد بيت حميد الدين ( الحكم الأمامي ) ، خصوصاً بعد بسط الأئمة نفوذهم على محافظة إب ، وبقية المحافظات والأقاليم التي ظلت تحت سلطات آل عثمان ، وحتى قيام الثورة فأن جملة عوامل قد أضافت إلى القائمة خصائص جديدة تمثلت هذه العوامل بـــ[١٦] :

١ – (ملكية الأرض ) : كأساس جديد للتمايز الطبقي في المحافظة خاصة ، و في اليمن عامة .

٢ – ملكية رأس المال : ( تجارة – صناعة – عوائد الزراعة ).

٣- النسب و المكانة الاجتماعية.

٤- استغلال المنصب السياسي والإداري.

ح- ظهر تقسيم جديد يرتكز على أسس مذهبية ودينية ، وأسس اجتماعية واقتصادية ، نذكر منها :

**١ – التقسيمات الدينية ، والطائفية ، والمذهبية :**

أ) المسلمون:وهم: الزيدية – الشافعية – الإسماعيلية، وقد ندر وجود الزيدية في المحافظة إلا في بعض المناطق الشمالية الشرقية ، والكثر هم الشافعية، وقلة هم الإسماعيلية وهم ما تبقى من اتباع أو من الأسرة الصليحية في اليمن (العدين ومناطق حراز) .

ب) اليهود : وهم قلة توزعت في أرجاء المحافظة ، وظلوا حتى هجرة عام١٩٤٨م مثلما رحلوا من بقية المحافظات ، في أواخر الدولة الإمامية عدا (صعدة ، وريدة).

**٢ – التقسيمات الاجتماعية :**

أ) كبار الملاك ، ويشمل : السادة ، والأشراف (Sada – Sayed)، وهم حكام اليمن حينها .

ب) شيوخ القبائل: وهم في المرتبة الثانية، ( شيوخ ملكية ، وشيوخ القوة والنفوذ ) حاشد ، وبكيل وما تداخل بينهم .( ذو محمد – ذو حسين ...الخ ) [١٧]

ج) كبار الملاك المنتمون إلى القضاء .

د) طبقة الفلاحين وهم ثلاثة أقسام : قسم يملك ولايعمل ( الأغنياء ) ، وقسم يملك ويعمل (المتوسطين) وقسم يعمل ولا يملك وهم (الفقراء).

ه) التجار ، وفئة الحرفيين المستقرين .

و) طبقة المعدمين .

ز) الأخدام : والأعمال واضحة لدى كل من هذه الفئات. (١٨)

وهذا النمط كان سائداً في المحافظة مثلما هو في اليمن عموماً .

ولما كانت عوامل التغير ا لاجتماعي قد جاءت نتاج للثورة اليمنية سبتمبر ، وأكتوبر المجيدتين، فقد شمل هذا التغير (محافظة إب) كما شمل أرجاء الوطن اليمني عموماً، فأن من صور هذا التغير أو الحراك على البناء الاجتماعي (بكافة مكوناته الاقتصادية ، والثقافية ، والسياسية ، والعلمية) الصورة الهرمية الاجتماعية الجديدة في وضعها الراهن والتي – وبعد قرابة (٤٠) عاماً من الثورة– قد تغيرت بفعل الحراك الاجتماعي الداخلي بين الشرائح التقليدية من جهة ، وبفعل عوامل التغير والتطور الخارجي الوافد (ذو الطابع العلمي ، والثقافي ، والتقني ، والتكنولوجي ، والسياسي ، والاقتصادي) من جهة أخرى .

وصارت الهرمية الجديدة على النحو الأتي :

**أ – الشرائح التقليدية :**

١ – كبار الحكام : وهم خليط من (كبار الضباط – السادة – المثقفون والتكتوقراط – المشائخ ذو النفوذ والقوة ) والمحافظة ممثلة بكثير من هؤلاء.

٢– كبار التجار والملاك : والمحافظة ممثلة بالقليل من هؤلاء بحكم طبيعة المحافظة الزراعية التقليدية، وعدم تمتعها بموقع يسمح لها بالنشاط التجاري الداخلي والخارجي .

٣– طبقة الفلاحين : (أغنياء – متوسطين – فقراء).

٤– أصحاب المهن والحرف التقليدية ، والحديثة.

٥– أصحاب المهن النوعية : (حلاقين – حدادين – جزارين – بقالين – زراعيين – صنائعيين – صائغين – حرفيين – فنيين ... الخ ).

٦- الأخدام : وعددهم في محافظة إب أقل من محافظة تعز أو الحديدة ، ويتساوى مع صنعاء تقريباً وهم يعملون مع بعض الفئات الدنيا في النظافة ، وخاصة في العصر الراهن.

**ب- الشرائح الجديدة :**

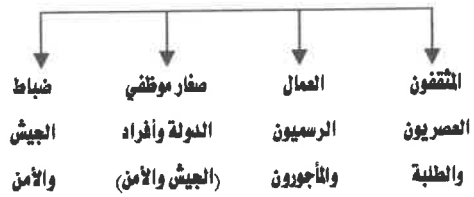


وهؤلاء جميعاً مصادرهم الاجتماعية متباينة ومتعددة [١٩]

جـ – كما تتميز التركيبة الاجتماعية للمحافظة بأنها تتوزع بين دوائر شبه مغلقة على الداخل ، وشبه منفتحة على الخارج في شمال و شرق المحافظة و شبه منفتحة اكثر في الأجزاء الغربية والجنوبية باستثناء أقصى الغرب ، وهي اكثر اندماجاً وتفاعلاً ، والذي فرض هذه الخصائص: موقع المحافظة ، والاتصال الاجتماعي والثقافي ، والهجرة منها ، واليها وإلى العالم الخارجي .

**٤ ] أنساق الضبط الاجتماعي في تاريخ المحافظة الحضاري والاجتماعي :**

أشرنا إلى أن هذا النسق يتكون من ثلاث نظم هي: النظام الديني ، والنظام السياسي ، ونظام العرف الإجتماعي. هذه النظم الثلاثة تعمل بوتيرة واحدة في البناء الإجتماعي لمحافظة إب. ويتراوح كل من النظام السياسي ، ونظام العرف الإجتماعي في طبيعتهما وفاعليتهما في مجتمع المحافظة ، بين المد والجزر، شكلاً ووظيفة ، بفعل عدم ثبات المجتمع اليمني على وتيرة واحدة ريفاً وحضراً وبفعل التطورات المتعاقبة على بنائه الاجتماعي ، وكذا تفاوت قوة مراكز النفوذ الاجتماعي بالمحافظة بصفة خاصة .

(أ) فمنذ عصور غابرة ، ظل الدين لصيقاً بحياة الإنسان اليمني عموماً ، والمحافظة خصوصاً متغلغلاً في صميم وجدانه (تعبداً ، وتطبيقاً لتعاليمه ، منذ كان الدين بشرياً يغلب عليه الأسطورة والخرافة في عصر الدويلات القديمة. ففيه ربط نشاطه اليومي في كافة أفعاله ، والألهة تقرب الأنسان في هذا المجتمع إلى الله بواسطة الكواكب ، والنجوم سداً لحاجاته الروحية ، واستعانته بها لقضاء حوائجه ، وجاءت اليهودية وأعتنقها أغلب أفراد المجتمع اليمني حتى قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لمعاذ عندما أرسله إلى اليمن :"أنك تأتي قوماً أهل كتاب". ثم جاء الإسلام بافراد العبودية لله ، واستجاب أهل هذا البلد للدعوة إيماناً، وتشريعاً ونظاما إجتماعياً ، وهو كذلك على هذا الحال حتى الآن.فإنسان هذا البلد مؤمن عميق الإيمان يجمع بين الإرتباط بالشخصي ، والواقع المحسوس ، والتدين التلقائي العفوي الشعبي ، وبين الإرتباط بالمؤسسة الرسمية والكلمة المجردة (كان ريفياً أوحضرياً) ، ناهيك عن قيم الرحمة ، والرأفة والصبر والزهد في الدنيا، والخوف والرهبة من غضب الله ورسوله. وهو في سلوكه وعلاقاته بغيره يستند إلى ضميره أولاً. والخشية من الله ثانياً. والاحتكام إلى أوامر الدين ونواهيه ثالثاً : وماغيره نسبياً عن هذا الإلتزام إلا بطش القيم الدنيوية الظالمة له ، وهي لا تغير الكل ، بل البعض ممن يظلون محل سخرية من المتقين [٢٠].

(ب) أما نسق الضبط السياسي: فقد أرتبط أو دار حول رئيس العائلة ، أوالعمدة أو القيل، عندما كانت المحافظة (مثل غيرها من المناطق) تحكم لا مركزياً في عصر الدويلات القديمة ، وكان القيل أو رئيس العشيرة ( أو نائب الملك ) هو مصدر الضبط السياسي. وبالطبع يعتمد التشريعات في توجيه أوحكم الأفراد ، تلك التشريعات التي أعتمدها المثامنة أو المعاشرة ،(المجلس المركزي أو المجلس المحلي). ثم تمحور الضبط السياسي في عصر الإسلام ، حول الوالي الذي ينوب النبي ،أو الخليفة، ويستند إلى حكم أوتشريع واضح المصادر ، والشكل، والمضمون ، والهدف. ووفق قواعد مقننة ، دون التخلي عن نسق الضبط القائم على (العرف الاجتماعي) الذي أقره الإسلام، وأبقى الكثير من مفاهيمه الإيجابية. وقد تمحور النظام السياسي في

العصور الإسلامية المتأخرة في (محافظة إب) حول الحكام الممثلون للمراكز أو ، الأمراء، والملوك الذين جعلوا من المحافظة (أو أحد مراكزها) مركزاً لحكمهم ، ودون التقيد بمذهب معين (كما حدث في عصر الدولة الصليحية بخلاف بيت حميد الدين). الذين تقيدوا بمذهب واحد في حكمهم للجزء الشمالي من اليمن وبفعل التحول الذي أحدثته الثورة ، فقد تغير شكل النمط السياسي ، واصبح المركز ، أو الإدارة المدنية هي مقصد وجهة الضبط السياسي، الذي يرتكز على قوانين ودساتير منظمة ، تشرع لكل مؤسسة أو جهة قانونياً. وصار المواطن يقصد مؤسسات الدولة لحل مشكلاته وضبط صور انحرافات المنحرفين ، أكثر من الإستمرار في الدوران حول المختار ، (العدل أوعاقل الحارة أو الشيخ) وخصوصاً في (محافظة إب) حيث تحول كل هؤلاء فقط إلى وسيط أوعامل إتصال بين المواطن والدولة أكثر مما هو مكان ووسيلة للضبط الاجتماعي رغم تراجع ذلك في حال فتور سلطة النظام والقانون في أغلب الأحيان . ومع ذلك (فالعرف) وهو معروف في دستورنا مازال يفعل فعله في الضبط الاجتماعي ، ويسهم في النشاط السياسي ، والضبط الاجتماعي (رغم ظهور مؤسسات المجتمع المدني ، و انتشار الأحزاب السياسية) فلا يزال داعي القبيلة ، والولاء القبلي، والعصبية للأنماط التقليدية في (النظم والمعايير ، والقواعد الاجتماعية) يفعل فعله في الحد من انتشار السلطة المدنية ، ونفوذ الدولة ولكنه في محافظة (إب) أقل شأناً من غيرها من المحافظات ذات التركيب الاجتماعي التقليدي القبلي العشائري . (٢١)

القسم الثاني

## البناء الثقافي والفكري لمحافظة إب
## في ضوء خصائص المكونات الحضارية والتاريخية والاجتماعية للمجتمع اليمني

يركز البحث هنا وفي هذا القسم – على دراسة البناء الثقافي بوصفه يعبر عن مفهوم انثربولوجي للثقافة بوصفها الكل المركب من المعتقدات والأفكار والأديان، والفنون، والآداب، والعلوم، والفلسفات ، والقيم وكافة جوانب النشاط الإنساني بحسب تعريف ( تيلور) للثقافة.

ولما كنا قد استبعدنا الجوانب المادية للثقافة ، و أبقينا على بعض الأنشطة الثقافية المتصلة بالبناء الاجتماعي، ( كالدين – والاقتصاد أو الإنتاج المادي ) للانسان اليمني في هذه المحافظة . فأننا سنقف على أهم عنصرين للثقافة بجانبها الروحي أو المعنوي وهما:

(١) العادات والتقاليد : بوصفهما يشكلان الجزء الموروث من الثقافة والتي تسمى (الثقافة الشعبية المتوارثة) ، وما يتصل بها من الأنشطة الدينية ذات الطابع الاجتماعي .

(٢) النشاط الفكري والعلمي لهذه المحافظة بوصفهما يمثلان الجزء الحي ، والمنظم من الثقافة بصورتيها (المتوارثة ، والمتجددة) حتى تكتمل خارطة البناء الاجتماعي بقسماتها المختلفة والتي تنظمها (الدراسة) كلها (لمحافظة إب) والتي هذه الأوراق جزء منها.

- وبدءاً : فقد اتسمت الثقافة اليمنية بهذا المعنى ، بأنها ارتكزت على هوية حضارية إنسانية ، تنحدر من الثقافة العربية القديمة والثقافة الإسلامية المتجددة، وامتداداً في تاريخها المستقبلي ، وعبرت عن الذات اليمنية الواحدة ، كما قامت الثقافة والحضارة اليمنية على أساس الجمع بين المعرفة والبناء ، وعلى أساس الجمع بين

(العلم والعمل والإيمان) ، ومراعاة الترابط الوطني بحيث كانت اليمن من الجميع للجميع. (٢٢) وتنقسم إلى:-

**أ ) الثقافة غير المقننة أو المكتوبة ( العادات والأعراف والتقاليد ) :**

مثلما هو حال النظام الاجتماعي في المجتمع اليمني ككل ، تتوزع العادات ، والأعراف ، والتقاليد في (محافظة إب) عبر تاريخها ، وحتى الآن على النحو الآتي :

١– تقوم العادات بوظيفة : تنظيم سلوك الأفراد ، والجماعات ، وتمثل الأعراف اطاراً مرجعياً للتنظيم الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية .

٢– أما الأفكار والمعتقدات فإنها : مجموعة معارف ، ومعلومات متراكمة في عقول الأفراد والجماعات ، لكنها مرنة وأقل تصلباً من المعتقدات أوالأعراف الاجتماعية ذات الطابع الديني أوالقانوني .

٣– أما الحكم والأمثال ، والتراث الفلكلوري (غناء–رقص–موسيقى) ...الخ * فإنها ملازمة للحرف ، وانماط النشاط الاقتصادي والاجتماعي في المواسم والمناسبات، وتعبر عن قناعات غير ملزمة نذكر ما هو سائد منها :-

**أ] عادات و أعراف دورة الحياة مثل :**

**١ – عادات الولادة :**

على الرغم أن المرأة في (محافظة إب) لا تغير من نمط عملها وخاصة في الريف ، إلاَّ أنه أثناء وقبل الولادة ، وبعدها تأخذ قسطاً من الراحة قد تصل إلى أربعين يوماً تحاط بالرعاية الكاملة من أفراد الأسرة يتخلل ذلك العديد من الطقوس ذات الطابع الديني والاجتماعي (في اليوم السابع ) وتشمل : الختان ، إذا كان المولود ذكراً يصاحبه حفل غداء أو صبوح قد يذبح والد الطفل رأساً من الغنم حسب ظروفه ثم حفلة نسائية تحضره نساء الحي أو القرية مع تقديم هدايا رمزية عادة ما يكون نقوداً أو

مواداً عينية،أوملابساً للمولود ، ثم يقدم أثناء الحفل الشراب وبعض الأطعمة الخفيفة، تمرح النساء ، وتفرح وتزغرد للأم المتعافية ، التي قد تلبس لباس العروسة عدا (فستان الفرح) الخاص بالزفاف، وقد تكون هذه المناسبة أحياناً في الأربعينية أو الثامنة أو السابعة وهي الأرجح . (٢٣)

٢ – **عادات الزواج :**

وقد أشرنا إلى طبيعته سابقاً ، ولكن أهم عاداته أنَّ عملية الزواج تمر بمراحل ثلاث :-

**الأولى** : الإتفاق بين ولي أمر العريس والعروسة: على القبول تمهيداً للزواج ، وفق الشرط المتفق عليه الذي يكون عادة مبلغاً يتراوح بين ١٥٠ – ٣٠٠الف ريال حسب طبيعة الوضع الاقتصادي وبحسب ظروف كل منطقة ويسمى العاجل ، أما الجزء الآخر فهو الآجل وعادة لا يتم دفعه إلاَّ في حالات الطلاق أو الوفاة للرجل فتأخذه المرأة من الإرث من بعد الزوج في حال سبقها بالموت. وهو قد يكون مسمى أو بمهر المثل (بكرا أو ثيبا) وكان هذا الاتفاق دون سابق اتصال أو معرفة بين الزوجين أغلب الأحيان ، لكن بدأت في الآونة الأخيرة تدخل عملية الاتصال أو التعارف أو الالتقاء بين الرجل والمرأة ولو بصورة أقل – قبل الاتفاق بين ولي أمري الزوج والزوجة .

**الثانية:** الخطبة العلنية : ( حضور العريس وولي أمره مع والدته إلى بيت العروسه فتقام حفلة مصغرة للنساء ، أثناءها يتم تلبيس العريس دبلة الخطوبة للعروسة والعكس أو تقدم مباشرة أو بواسطة أحد أقربائه أو أقربائها من الرجال أو من النساء مع إبقاء الرجال في (المقيل) بعيداً عن هذه المناسبة وبخاصة إذا لم يتم عقد الزواج .

**الثالثة:** ( العرس ) وهو متفق عليه في جميع المحافظات اليمنية ولا يختلف الأمر سوى في عدد المرافقين والبقاء في بيت العريس بعد إيصال عروسته التي تكون غالباً بداية

الليل ، وأحياناً في المدن يتم إحياء الحفلة في الفنادق أو القاعات ، وغالباً يتم أحياؤها في منـــزل كل منهما.(٢٤)

يصاحب الاحتفال طقوس مثل: الذبح وتقديم الغداء في اليوم الأول لدى والد العروسة وعادة لايقدم الضيوف أي مجابر ( مساعدة مالية ) له وبالوقت نفسه يقع هذا الحفل ( الغداء والمقيل ) نفسه لدى والد العريس أو في بيت العريس إذا لم يكن له والد ). ولكن ضيوفه يقدمون له المجابر يتراوح بين : ( ٥٠٠ريال ) و(١٠٠٠٠ريال يمني) وبحسب حالة الضيف الاقتصادية أو مكانة العريس وعائلته، وقد يتكرر الحفل ذاته في بيت العريس يوم الثاني لمن لم يحضر من الضيوف في اليوم الأول، و لم يعد يجلس الضيوف كثيراً حتى أخر الليل أو لليوم الثاني كما كان معروفاً قبل حوالي خمسٍ وعشرين سنة في هذه المحافظة .(٢٥)

**٣– عادات الموت أو الوفاة :**

ويتصف أبناء المحافظة كغيرهم من اليمنيين بأنهم أصحاب واجب ، فإذا مات شخص قام الجميع بمساعدةأهله ويبدأ هذا بالمشاركة في عملية الغسل والتشييع والدفن. ثم إعداد الطعام من أهل القرية أو الحي للحاضرين أو الضيوف ، ويقام نوع من العزاء يسمى في الريف ( التهليل ) وفي المدينة كذلك مع إضافة (كلمة العزاء أو الفاتحة حديثاً) والتهليل هو عبارة عن إحياء ذكر الله والصلاة على رسول الله ، يتقدم الجميع منشد أو فقيه محترف يؤمهم في الذكر ثم يختمون ذلك بقراءة سورة ( يس) وسور أخرى صغيرة والدعاء للميت ويستمر هذا لمدة ثلاثة أيام ، ثم يعقبه يوم عاشور. في العاشر من يوم الوفاة ، وتختلف هذه العادة من منطقة لاخرى اختلافاً بسيطاً قد يتمثل بالمجابر حسب طبيعة ظروف الميت وأهله ، وقد كانت بدأت عملية التهليل تتراجع بسبب ضغط وانتشار أنصار المذهب الوهابي في كثير من قرى ومراكز المحافظة ثم بدأت تعود بفضل تدين الناس

الفطري ، وتراجع الوهابيين عن مهاجمة واستهجان من يقوم بالتهليل بوصفه بدعة في الدين كما يرون .

**ب] عادات وأعراف دورة الزراعة :** وتتخذ دورة مكونة من أربع مراحل هي : [٢٦]

١- مرحلة الحراثة وأعداد الأرض وإصلاحها وإخصابها بالسماد البلدي أو المصنع (السمادالكيميائي).

٢ – مرحلة البذر والزرع .

٣ – مرحلة السقي والمتابعة والتقليب وإزالة الأضرار .

٤ – مرحلة العلف والحصاد إذا كان المزروع ذرة والحصاد إذا كان قمحاً أو مزروع آخر .

٥- وتكثر الاحتفالات والطقوس الاجتماعية في مرحلة العلف والحصاد ويصاحبها الهجلات ( الأناشيد الجماعية ) المعبرة عن الشكر لله ، والفرحة والمحبة والتعاون وفوائده .

**ج] عادات دورة المواسم والأعياد :**

١- الأعياد الدينية ( عيد رمضان – عيد الأضحى المبارك ) ( عيد رأس السنة الهجرية ) (عيد المولد النبوي الشريف في ١٢ربيع أول ) من كل. عام وهي إضافة إلى أنها مناسبات وشعائر دينية، لكن تضاف عليها عادات اجتماعية مستندة إلى التراث الديني والاجتماعي مثل التزاور ومواصلة الأرحام والأقارب وتقديم ( العيدية ) ( العوادة ) عادة من الرجال إلى النساء والأطفال في عيد رمضان حصراً في أغلب مناطق المحافظة ، وفي بعض المناطق في العيدين ( رمضان ، والأضحى ) تؤدى بعد صلاة العيد غالباً ، والأيام التالية ليوم العيد ، وتقام في بعض المناطق بعد الصلاة تجمعات للبرع على صوت (الطاسة والمرفع) أو الطبل والمزمار (في الأرياف خاصة) ثم الانصراف إلى المزاورة إن كان عيد الفطر. يصاحب ذلك تجمع في المقايل العامة في القريةبصورة أكثر

من المدينة . وغالباً ما يتجه كثيرمن سكان المدينة ذوي الأصول الريفية إلى مناطقهم في هذه المناسبات. وأما في أعياد رأس السنة الهجرية ، فتقام في بعض المناطق شعائر الاحتفال بيوم الهجرة ، وكذلك يقام المولد ( في ١٢ ربيع أول ) بمناسبة ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم في اكثر مناطق المحافظة وخصوصاً الجنوبية والغربية والوسطى ، والحال ذاته في ليلة الإسراء والمعراج ( ٢٧ من رجب ) من كل عام. كما يحيي أبناء المحافظة وخصوصاً في أغلب ريفها ليالي رمضان بالسمر والذكر وتلاوة القرآن طوال أيام الشهر ، وتحيى ليلة القدر بالأذكار والموالد في التكايا والزوايا الصوفية وبعض البيوت الدينية وهي متفاوتة بتفاوت المناطق .

٢–ولأبناء المحافظة عموماً : عادات حسنة متوارثة مثل الاحتفاء بالضيف واستقبال وإيواء الغريب، والتعاون وقت مواسم الزراعة ، و حصادها وأثناء الأحداث والكوارث ومساعدة المحتاج .بالمقابل هناك بعض العادات السيئة مثل تناول القات وهي قضية تعم اليمن كله ومحل جدل بين معتبر لها أفضل من اللجوء إلى ماهو أسوأ مثل المخدرات والمسكرات ، أو لتغطية الفراغ ، أو للمساعدة على الإنجاز في الأعمال اليدوية والذهنية ، وبخلاف ذلك فهو (برأي البعض) مصدراً لإضاعة أوقات العمل وإضاعة المال ، ناهيك عن أضراره الصحية والنفسية *. ومن العادات السيئة التي كانت قد تراجعت: الثأر ، و إحياء النـــزعات العصبية ، وحمل السلاح ، وكثرة النـــزاعات بسبب تفتيت الملكية الزراعية ، وضعف الإنتاج ، وقلة الدخول ، وتراجع منسوب الهجرة إلى الخارج وعوائدها ، واستمرار الولاء القبلي (رغم إيجابية بعض مظاهره) في داخل الأطر المدنية والحزبية، والبحث عن الأنساب ، والألقاب التي تساعد على تحديد المكانة أو النفوذ الاجتماعي ، وخاصة في الآونة الأخيرة .

* استناداً إلى العديد من المقالات والبحوث العلمية التي اجريت على القات في الأدبيات والكتب والمجلات اليمنية أو العربية .

## ب) الثقافة المكتوبة والمنظمة :

***[ الصورة العامة للحياة الفكرية العلمية عبر التاريخ الحضاري الماضي والحاضر لمحافظة إب ]***

- امتلكت (محافظة إب) مقومات نشوء المراكز الحضارية فيها عبر التاريخ ، مما مكنها من الاستئثار بنصيب وافر من الإنجاز الفكري والثقافي والعلمي ، إذا قورنت ببقية المحافظات اليمنية ، وخصوصاً في عصر الممالك القديمة،( الحميرية ) وفي العصر الوسيط الإسلامي .
- فقد ضمت (محافظة إب) جزءاً مهماً من المنطقة الوسطى في اليمن ، وهي المنطقة الجبلية المرتفعة، والتي تمتد بإمتداد جبال السراة التي يصل إرتفاعها إلى اكثرمن ٣٦٠٠م ويتخللها وديان وسهول واسعة من أخصب المناطق الزراعية، تحفها عدد من القيعان الفسيحة المحيطة بالجبال من جميع الجوانب. وهي المنطقة التي أزدهرت فيها المدن اليمنية ، بعد إنتهاء عوامل الإستقرار في المنطقة الشرقية من اليمن ، فاتجه الناس لسكن هذه المناطق بكثافة حيث الأمن والأرض الصالحة البديلة ، فازدهرت المدن اليمنية على سفوح هذه الجبال ، وفي القيعان ذات التربة الخصبة والمياه الجوفية وكثرة السدود والأمطار الموسمية ، وكما قال شاعرهم القديم :

**وفي البقعة الخضراء من أرض يحصب *** ثمانون سداً تحجز الماء سائلا**

فكانت ظفار على سفح جبل ريدان وقرب قاع الحقل ( كتاب ) أو ( قتاب)، و(السحول) ، وفيها نشأ مجمع (ذوريدان) ، وظفرت (ظفار ) في التوحد مع ذي ريدان .[٢٧]

- وبحكم امتلاك (المحافظة) عناصر الإستقرار ، حظيت مناطق (محافظة إب) بنصيب وافر من الإسهام الفكري والعلمي والثقافي في العصر الوسيط الإسلامي: (عصر الدولة العربية الإسلامية الموحدة) أو في (عصر الدويلات المستقلة) وما

بعدها. حتى أنَّ معظم مراكز المحافظة كانت مقصداً لكثير من العلماء والمؤرخين والمفكرين العرب ، ومحل اشارات الكثير من المؤرخين العرب إلى دورها العلمي والمعرفي والفكري .

فقد أشار( د/ عبد الرحمن الشجاع ) إلى تناول عدد من المؤرخين أمثال ابن حوقل ، والأصطخري وغيرهما إلى بعض هذه المراكز (المخاليف) مثل مخلاف جعفر ، ومدينة مذيخرة بأنها المنطقة التي تغلب عليها ( علي بن الفضل القرمطي ) الذي يعرف ب (محمد بن الفضل) ووافقه (الاصطخري) الذي نقل منه ، بأهمية المخلاف، من الناحية (الثقافية ، والحضارية وحتى السياسية) عند الاستيلاء عليه من قبل الحكام والدويلات المتصارعة على حكم اليمن من خلال هذه المخاليف [٢٨].

كما أشار ( الشجاع ) إلى تناول الرحالة المسلمين دور المناطق الوسطى في نشر مذهب (سفيان بن عيينه) ( ١٩٨هـ) وهذا يدل على تأخر إنتشار مذهب الشافعي في مخلاف (ذي السفال) في بداية ق( ٢هـ ) . [٢٩]

- ومن العلامات البارزة في دور المحافظة في العصر الإسلامي الوسيط الحضاري، والفكري والسياسي ، أن فيها (وفي أحد مراكزها) قامت الدولة الصليحية الثانية على يد ( علي بن محمد الصليحي ) ( ٤٥٩هـ ) في (جبلة) ثم أتخذت السيدة (أروى بنت أحمد الصليحي) جبلة عاصمة لدولتها التي حكمت بها معظم مناطق اليمن قبل وبعد وفاة زوجها المكرم علي بن محمد الصليحي ، وبها ومن خلالها أنتشر الفكر الإسماعيلي. وكان في إب وبالذات منطقة ذي السفال ، والسهفنة ( السفنة ) جنوب ذي السفال بداية ظهور المذهب الشافعي في أوائل المائة ( الخامسة للهجرة ) على يد القاسم بن محمد بن عبد الله الجمحي القرشي (ت٤٣٧هـ ) والذي أخذ عنه شافعية (المعافر، ولحج، وأبين، والجند، والسحول، واحاطة، وعنَّه، ووادي ظبا [٣٠] ويشير

كثير من المؤرخين اليمنيين القدامى أمثال: ( الجندي ، والبريهي ، والجعدي)* وكذا المؤرخين المعاصرين أمثال :

( الحداد ، والمقحفي) ، و(الأكوع – محمد بن علي) ، وأخيه (إسماعيل )** وغيرهم كثر. إلى أن مدينة (ذي السفال) مثلت مركزاً حضارياً وفكرياً وعلمياً ، فيها ظهرت بعض المذهب الفقهية ، وفيها تعزز الحوار الفكري بين التيارات الكلامية (الاعتزالية والأشعرية) وبعلمائها أنتصر (الفكر الأشعري والفلسفة الغزالية ، والفلسفة الصوفية) وبعدها أنحصر الفكر الشيعي والباطني في المناطق الشمالية من اليمن. وبعض أطراف المنطقة الغربية في المحافظة. وبهذه المكانة أخصبت تربة العلماء ونمت أشجارهم. فكانت المدينة التي خرج منها علماء كبار وأدباء وفقهاء ليس على هيئة أفراد وإنما أسر علمية بكاملها مثل : آل المصوع ، وآل العلقمة ، وآل إسحاق ، ونحوهم سوف نشير إلى بعضهم لاحقاً .(٣١)

- ولتسهيل عرض المراكز الفكرية والعلمية في المحافظة خلال تاريخها الإسلامي الوسيط وإلى فترة حكم آل حميد الدين ، سوف نعمد إلى عرض اسم المركز العلمي ومكانتة ونماذج من أشهر علمائه، وطبيعة المعرفة التي قدمتها خلال هذه الحقبة وبحسب الترتيب الهجائي وعلى النحو الأتي:

١. **مدينة إب** : أشار (الجندي) ومن بعده (البريهي) في مؤلفيهما ( السلوك، و طبقات صلحاء اليمن) إلى العديد من العلماء البارزين في مختلف العلوم النقلية والعقلية، توزعت بين (الفقه، والفرائض ، والنحو والصرف ،و الأدب ، والحساب ، والجبر ، والمقابلة ، والقراءات ، والتاريخ) في هذه المدينة حصراً ، وفي قرن واحد ، هو (القرن التاسع الهجري) فإن بها ما يزيد عن سبع وثلاثين عالماً من الذين لم تذكر أسماؤهم هنا. كما ذكر (الجندي) ما يزيد عن سبع وعشرين عالماً في قرن واحد هو القرن

السابع الهجري، فضلاً عن إشارات المؤرخين (أولئك)، والمعاصرين من اليمن، إلى المراكز العلمية في المدينة والتي ما زال بعضها يحمل الاسم نفسه حتى الآن. ومن العلماء : أحمد بن محمد سيف السنة [تـ ٥٨٦هـ] ) ، والشيخ حسام الدين بن الوليد ، وصاحب الحرورة الشيخ علي بن عمر ، والعلامة أحمد بن أبي بكر البريهي : صاحب مصنف (الفوائد في زيارة المشاهد) ، وعبد الصمد بن محمد الينامي (قاضي إب) ( تـ ٨١٩هـ) والمقبور بسيف السنة بالمقبرة الجديدة. (٣٢) ، وكذا صفي الدين أحمد بن عبدالله المقري ، ( الشنيني) ، والقاضي أبوبكر بن حسين المؤذن ( تـ ٨٢٣هـ)، وأحمد بن حسن بن إبراهيم بن يحيى البريهي ، الذي ضبط نسختي (البخاري ومسلم) إضافة إلى العديد من المؤلفات الفقهية ، والأحاديث ، والشعر. والعلماء: إبراهيم البريهي ، ( تـ ٨٠١هـ) ، والإمام عفيف الدين عبدالله بن محمد الكاهلي ( تـ ٨١٠هـ ) وعبد الرحمن بن محمد البريهي (تـ ٨١٧هـ ) شارح (المنهاج ، والوجيز ، والتفقية شرح التثنية) للإمام الريمي ، والعالم الفقيه والنحوي والفرائضي ، والقاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد النحواني تـ ( ٨٨٣هـ) ، من تلاميذ الفيروز أبادي ، ورضي الدين الشنيني ، والعلامة أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن يحيى البريهي ( تـ ٨٢٠هـ ) الذي ألف في (مسائل الخلاف ، ومسائل القراءات، والسنة) والعديد من الكتب والشروحات والتعليقات .ومن أهم المراكز العلمية فيها: المدرسة الجلالية ، والمدرسة السيفية ، ومدرسة المشنة، وأشهرها جميعاً (رباط الغيثي) الذي ما زالت شهرته قائمة حتى الآن. ويقع في قرية المعاين تابع مدينة إب وأشهر علمائه : جمال الدين بن علي الهمداني الملقب (بالغيثي) نسبة إلى أبي الغيث بن جميل. وقد أوقف جل ماله على مركز العلم ، وسكن الطلاب، والأيتام والوافدين إلى رباطه للعلم ، وأستمر حتى منتصف القرن ألـ (الرابع عشر الهجري) حتى حول (الحسن بن الإمام يحيى) أوقافه إلى أمور أخرى .[٣٣].

٢. **بعدان:** وهي مخلاف مشهور من أعمال مدينة إب وهي نسبة إلى بعدان بن جهم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن عريب بن قطن بن زهير بن الهميسع بن حمير بن سبأ[٣٤] وقد نشأ فيه العديد من الرباط والمراكز العلمية مثل :

أ) رباط تيه في عزلة بني عواض من ناحية بعدان وهو من أكبر معاقل العلم.

ب) رباط الحوارة في عزلة الشعر.

ج) رباط الغيثي في عزلة حيسان (بعدان).

د) ومركز أو رباط (قرية النظاري) عزلة الحرث ناحية بعدان، من أهم أعلامه من العلماء: عبد الرحمن محمد عبد الله النظاري ، وهو من وزراء الدولة الأشرفية، وعالم محقق وشاعر ونحوي ووزير ( تـ ٧٩٥هـ ) ومحمد بن محمد بن نعمان النظاري ، والأمير جمال الدين، مؤسس مدرسة المشنه، وجامع بيت الفقيه ( تـ ٩٢١هـ ) [٣٥] ، ومن علماء بعدان المشهورين الذين أرخ لهم معاصري القرنين السابع والتاسع الهجري : (( أحمد بن إسماعيل المأربي )) من قاطني (دلال) كان فقيهاً وقاضياً ومحققاً ، وسعيد بن محمد ، وعبد الله ومحمد بن سعد بن أبي زيد ، ومحمد بن إبراهيم الذين تعلموا على يد أبي الحسن علي بن الإمام زيد بن الحسن القائشي وفضل بن يحيى وأحمد بن سعد من ساكني النظاري (تـ ٥٩٥هـ ) [٣٦].

٣. **جبلة** : وتعد مدينة جبلة من أشهر المراكز الحضارية والفكرية والعلمية (لمحافظة إب) عبر تقلدها المكانة السياسية والتاريخية في العصر الإسلامي ، وماتلاه إلى عهد قريب . لامن حيث عدد المراكز العلمية داخل المدينة ، أوا لعزل التابعة لها فحسب ، بل في عدد علمائها وتنوع إنتاجهم العلمي خلال هذه القرون:

- فقد حصر (البريهي) صاحب (طبقات صلحاء اليمن) عدد علماء ( ق٩ هـ ) فيها ما يزيد عن (١١٨) فقيها وعالماً ، معظمهم ذو شهرة علمية يمنية ، وعربية ، إضافة

إلى ما أنفرد به (الجندي) قبله في كتابه : ( السلوك ) وما أضافه العديد من هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر على هيئة جدول [٣٧]

| الاسم | المجالات العلمية | تاريخ الوفاة |
|---|---|---|

أ – عفيف الدين عبد الله الجبرتي: فقيه- كيميائي – فلكي – منطقي، ( ت ٨٣هـ)

ب – أحمد بن علي البرحي: فقيه – رياضي – عالم في الجبر والمساحة – أديب،(ت ؟)

ج – إبراهيم بن أحمد السجاب:( رياضي – وعالم بالفرائض – والجبر والهندسة والدوال الدائرية)، (ت؟)

د – عمر محمد بن عمران : ( محقق – فقيه – موسيقي ) ، تـ(٨٦٦هـ)

هـ – أحمد بن علي الشوائطي: ( مقرئ – مدقق – فلكي )، وفرائضي تـ( ٨٦٤هـ)

و- جمال الدين محمد بن أبي القاسم العراسي: ( عالم بالفرائض والحساب ، والجبر ، والمقابلة ، والأقدار المتناسبة في الطب ، ومجهولات الأعداد ، عالم في التشريح، ونحوي،ومحدث) (٨٠٦هـ) ،وقد كان محل ثناء علماء اليمن وبعض العلماء العرب.

ز – جمال الدين محمد بن عمر الحريري: قاضي مشهور ، ومعاصر للسلطان الناصر ، والسلطان المنصور ، حكم وقضى في عدن ، انتشرت مؤلفاته بالهند ، لايعرف تاريخ وفاته .

ح – جمال الدين محمد بن عبد الله بن مسلم: تلميذ شمس الدين المارب ، وعلي بن علي بن عمر بن سعيد العيقي: ( رياضي ، وموسيقي ، وعالم بالفرائض) ( شرح مؤلف الهندي ) في كتاب أسماه (طوالع السعدي في شرح الهندي) ، ثم ألف في (ضبط الرياضيات والجبر والأعداد).[٣٨]

ط – المقرئ والفقيه والمفسر والنحوي ، المحدث وعالم الفرائض ، والشاعر ابوبكر بن محمد بن عمران ( الكأبة ) تلميذ الإمام محمد بن عبد الله بن سليم ( شارح كتاب

الهندي أيضاً ، (تـــ ٨٩٩هـــ ) ثم العلامة ابوبكر بن محمد بن صالح بن ابي بكر بن عمر الهمداني المشهور بإبن الخياط (ت ٨٠١هـــ ) [٣٩]

ي – ويشير (الجندي) إلى أسماء أخرى مشهورة ، منها : محمد بن عيسى بن مسالم الميتمي (من علماء ق ٦هـــ) ، وسليمان بن فتح بن مفتاح الصليحي والي حصن التعكر ، والقاضي علي، و أبو بكر العرشاني : ( قاضي الجند والسفنة وجبلة ) وابوبكر اليافعي ، ومحمد بن حسان ومحمد بن علي الحضرمي والقاضي علي بن يحيى بن أبي عقبة ومحمد بن علي بن يحيى الحضرمي[٤٠].

- أما المراكز والرباط العلمية في ناحية جبلة ومركز المدينة فهي كثر، وقد نال بعضها شهرة من خلال اتخاذ بعض ولاة وحكام الدولة الأيوبية والرسولية عامة ،معقل له. ناهيك عن نشاطها العلمي والفكري نذكر منها .

أ – مدرسة الجبابي ، (وسد الجبابي ) ضمن قرية الجبابي عزلة أنامر أعلى ، تابع ناحية جبلة. وكان من أساتذتها ( محمد بن حسن بن علي بن رسول) ، والتي بها قبره ، ثم الفقيه (أحمد السرددي) الذي نسخ عدة مجلدات ثم مقدمات ، ووقف على أماكن كثيرة منها: ( قرية ذي عقيب ) ، ومحمد بن عيسى بن سالم الميتمي [٤١] .

ب – ذي عقيب : وهو مركز في قرية عامرة من قرى عزلة وراف ، ناحية جبلة ، وأعمال إب وهو مشهور بتخريج العلماء ومعقل للعلم ، ومسكن لملوك بني رسول، ومن أشهر علمائه: ( عمر بن سعيد بن محمد بن أبي السعود الهمداني ، له مقام مشهور ، وفيه ، مسجد دفن فيها ، وهو فقيه انتهت اليه رئاسة العلم في عصره)، توفى ( ٦٣٣هـــ)

ج- عرشان : وهو مركز في عزلة (المكتب – جبلة – إب) من المراكز المقصودة لطلب العلم ، نسب إليه العلامة علي بن ابي بكر العرشاني ، الإمام الحافظ والأصولي وعالم في الكلام ( ت ٥٥٧هـ)[٤٢]

د- عيقرة : وهو من المعاقل العلمية التي ذكرها كبار المؤرخين في القرن السابع الهجري والقرن التاسع الهجري وغيره من المعاقل في حصن التعكر ونحوها .

هـ- رباط البغشي: في (الثوابي) ، ومن علمائه: العالم والصوفي المشهور بالبغشي ، (عبد السلام البغشي).

٤. **ويذكر (البريهي)** مثلاً أن فيه ثلاثين علماً من أعلام العلم ، والفقه ، واللغة ، والأدب في منطقة حبيش وجبن والمقرانة.ودمت (خبان ) و(الربيعة وصهبان) توزعوا بين اللغة والأدب والتصوف ، والحديث ، والفقه ، والتفسير. ومن أهم المراكز والعلماء المشهورين منها: ( مركز جبأ في حبيش) ثم : –

١ – مركز (وحاطة): في عزلة شبع ( ناحية حبيش من أعمال إب ) ومن علمائه ( ابوزكريا يحيى بن صالح الوحاظي الحمصي ( ت ٢٢٢هـ ) ) ترجم له الذهبي ، وعيسى الكلاعي الذي أرخ له (الجندي) ( ت ٤٨٠هـ ) والشاعر واللغوي اسماعيل بن محمد الدبعي (٤٣) الحميري الكلاعي

٢ – مركزالمشيرق: ومن علمائه (الهيثم بن محمد بن الحسين بن المشبع).

٥. **ذي السفال:** ( مدينة ذي السفال والسهفنة والسياني وصهبان ): تقف ذي السفال بنظر اكثر المؤرخين جنباً إلى جنب مع مدن (زبيد ، وجبلة ، وعدن ، وصنعاء ، وذمار) كونها مثلت معقلاً للمذاهب الفقهية ، ومدرسة فكرية متكاملة. كما أشرنا سابقاً فعرفت تاريخياً بأنها (مدينة العلم) على رأي (الجندي) وهي مشهورة بعلمائها ، خصوصاً علماء الكلام ، وعلماء الفقه ، ومن أكابر علمائها:–

١ – الفقيه والمتكلم والأصولي والإمام (يحيى بن أبي الخير العمراني) صاحب اشهر كتاب عرفه العالم العربي والإسلامي ( البيان) الذي وصل إلى العراق بخط ( علوان بن عطاف ، والد الشيخ أحمد بن علوان ) الذي يعرف بأنه من أهالي قرية سمارة حتى قال عنه علماء (العراق ومصر) لولا البيان ماعرف اليمن ، يتكون من أربعة عشر مجلداً في الفقه وأصوله ، ومنهم: الحسين بن جعفر الخزاعي من السهفنة ، الذي ألف في الرد على الفرق وفي الفقه ، وله كتب مشهورة فيه. ثم عمر بن الحداد ، ومحمد بن مسعود ، وعبد الكريم بن علي بن إسماعيل ، والفقيه ، والمحدث: أحمد بن موسى بن عجيل ، وإبراهيم بن عبد الوهاب السقالي الذي روى عنه (أبو القاسم الشيرازي) و(السمعاني ، وعمر بن علي السلالي ) من (ذي اشراق) ، ويحيى بن محمد بن الملحمية ومحمد بن موسى (العمراني) صاحب ( ناسخ القرآن ومنسوخه للصغار ) وغيرهم كثر ، وصل عددهم في مجلد واحد من كتابه السلوك الجندي إلى قرابة ( ٣٠عالماً ) (٤٤).

فضلاً عن الإشارة إلى (أربع أسر) تقطن ذي السفال ، عدهم (الجندي) أسراً علميةً كاملةً ، وزاد عليه (البريهي) حوالي (سبعاً وعشرين) علماً من أعلامها الأعلام ، موزعين على مراكز الناحية المشهورة .

- **ومن مراكز ذي السفال وتوابعها :**

أ – مركز السهفنة : (السفنة) في جنوب القاعدة ، ومن علمائه المشهورين: القاسم بن محمد الجعمي العرسي عالم ، ومحقق في القرآن ، والحديث ، وعلم الكلام ، والذي نشرت على يده من المذاهب الفقهية (الشافعية) في كل من الجند ، وصنعاء ، وعدن ، وأبين ، وبعض نواحي إب.

ب – مركز مصنعة: من معاقل العلم في صهبان ناحية (السياني) والذي يرجع إلى المائة السادسة من الهجرة والذي من علمائه: يحيى بن أبي الخير العمراني المشار إليه

سابقاً. وعالم الرياضيات، والمفسر ، والنحوي ، وعالم الفرائض (محمد بن موسى بن أسعد بن عبد الله العمراني ( ت ٥٦٨هـ ) (٤٥)

ج – رباط البريهي: في قرية الرباط شرق ذي السفال أسسه محمد بن أبن بكر البريهي وظل مقصداً للعلم حتى عهد قريب ( ٧٣٣هـ )

د – وهناك العديد من المراكز في كل من: (ذي اشرق ، وادي نخلان) ، ومركز وادي ظبأ ، شمال الجند ومركز الناحية حالياً: والذي من أعلامه الفقيه، والرياضي ، وعالم الجبر ، والفلك ، واللغة : (صالح بن عبد الله بن ابي بكر السكسكي البريهي) ( ت ٧١٤هـ ) (٤٦)

٦. و لا يقل دور المناطق الأخرى في المحافظة ، في الإسهام الفكري ، والعلمي عما سبق ذكره ، وإنما لضيق المساحة هنا نشير إلى: منطقة السحول ، ومنطقة مذيخرة ، وجزء من أعمال حبيش القريبة من مركز المدينة ، ومنطقة سمارة ، ووادي الجنات ، والمخادر. تضمنت العديد من المراكز العلمية ، وأعلام كثر في العلوم المختلفة منها على سبيل المثال :-

أ – مركز الجعامي في عزلة (بريس) ناحية حبيش ومن أعلامه: ( زيد بن الحسين بن محمد بن ميمون الفائشي ( ت ٥٢٧هـ)

ب – مركز جيأ من معشار (حصن خدد عزلة الصدر) ناحية حبيش من علمائه عبد الرحمن بن أحمد بن محمد سالم الفقيه ، والمحدث والمفسر والعلامة الفقيه الكيميائي والرياضي وعالم النفس ، والصوفي محمد بن علي بن محسن الوصابي الحبيشي ، وعبد الرحمن بن عمر بن محمد عبد الله الحبيشي ، لدى الباحث بعض مؤلفاته .

ج – رباط (هيوة) في عزلة الصفي ناحية المخادر.

د – مركز الملحمة وهي قرية في وادي الجنات في السحول شمال شرق مدينة إب ، من علمائه محمد بن عمر بن عميران ، من معاصري (الملك المنصور) ومن مدرسي المدرسة الوزيرية ، ( ت ٦٣٣هـ)[٤٧].

هـ – رباط الدميني في بني مسلم ناحية يريم

و – رباط السعيدي ، في (عزلة بني سيف العالي) من ناحية يريم ، ورحاب حالياً أسسه القاضي اسماعيل السعيدي في منتصف القرن الرابع الهجري.

ز – رباط الشعري كذلك في يريم.

ح – رباط الأكحل في ناحية يريم عزلة اريان [٤٨].

كانت هذه عجالة موجزة لتاريخ الفكر والثقافة المكتوبة لمحافظة إب عبر تاريخها المشرق قبل وبعد الإسلام حتى نهاية الإحتلال العثماني لليمن وقيام دولة آل حميد الدين ولعله من نافلة القول:- أن الإنجاز الفكري والثقافي ، قد أصابه التراجع خلال العهدين (العثماني والإمامي) في اليمن عموماً، والمحافظة خصوصاً ، ولكن مع ذلك فقد بقى وميض من ضوء العلم والمعرفة يفعل فعله من خلال الكتاب وبقية المراكز التي لم يصيبها الإندثار. حيث ظلت هذه المراكز والمعاقل فاعلة، منذ دخول الأسلام وقيام الدويلات اليمنية في نشر المعرفة والثقافة ، و لم يصبها التدهور الا في عهد بيت حميد الدين خصوصاً بعد استلابهم اوقافها و لم يعد بالإمكان أحياؤها تماماً ، بعد دخول نمط التعلم الحديث إلى (المحافظة خصوصاً واليمن عموماً) بعد قيام الثورة اليمنية في السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢م والرابع عشر من أكتوبر ١٩٦٣م [٤٩]. وقد ظلت (محافظة إب) متصدرة للفكر التنويري أسهم في الثورة على الواقع الفاسد والمتخلف تجسد ذلك من خلال مشاركة علماء إب ومثقفيها ورجالات القبائل المتنورة في تكوين الجمعيات الصحفية والثقافية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجمعيات الدستورية ورابطة الطلبة في الداخل والخارج ، في ظل حكم الإمامة. وكانت من محركي الثورة وأداة فاعلة في التغيير.

فهاهم رجالات العلم وبيوتات الثقافة في (المحافظة) مثلت طبيعة النضال الاجتماعي ، والسياسي والفكري ،من مثل : بيت دماج ، وبيت عقيل ، وبيت راجح ، وبيت المنصوب ، وبيت الحميري ، وبيت المنصور بن نصر ، وبيت العودي ، وبيت الصيادي ، وبيت العرومي ، وبيت العطاب، وبيت المقالح ، وبيت أبو لحوم ، وبيت أبو راس ، وبيت أبو اصبع ، وبيت السعيدي ، وبيت الدهمش ، وبيت العنسي ، وبيت حمران ، وبيت الغزالي ، وبيت البعداني ، وبيت كرش ، وبيت الشهاري ، وبيت السريحي ، وبيت المفتي، وبيت الصباحي ، وبيت الصلاحي ، وبيت الحداد ، وبيت الرعيني ، وبيت الدعيس ، وبيت الصبري ، وبيت الشامي ، وبيت السقاف ، وبيت الباشا ، وبيت الحبيشي ، وبيت الفلاحي ، وهاهو عقيل عثمان عقيل ، والشيخ مطيع دماج وإخوانه ، و أولاده ،والشهيد على عبد المغني ، والشهيد السري والشهيد الدعيس ، والدكتور عبدالعزيز المقالح ، وقبله عبد الوهاب الشماحي ، والبيضاني [٥٠] والمناضل المرحوم الأستاذ / محمد علي الربادي ، وباسلامة ، والجرافي ومحمد الوهابي ، وعبد الله اليماني ، واحمد اليماني ، ومحمد يحيى الحداد ، والشيخ / عبدالعزيز الحبيشي وهاشم النهاري ، ويحيى بن مرشد شمسان ، ومحسن محمد لطف ، وبني المصنف ، وبني العفيف والشيخ القادري. إلى آخر القائمة الطويلة من رموز العلم والمعرفة، أورموز النضال السياسي والاجتماعي والتحرري أو الفكري .

كما تصدرت مراكز محافظة إب (المدنية، والمراكز) قائمة الإفتاء ، والتدريس ، والقضاء في اليمن قبل الثورة ، وبعدها، يشهد بذلك انتشار قضاتها في العديد من المحافظات، والقضوات والمديريات. و هاهي المحافظة مع إطلالة الألفية الجديدة تناضل لتتصدر طليعة النضال الثقافي ، والفكري ، والعلمي ، والاجتماعي ، والسياسي ، فمن أبنائها الصحفيون ، والأدباء ، والعلماء ، والمفكرون والسياسيون ، ومجتمع المحافظة رغم الظروف الخاصة متطلع إلى ذرى المجد الممكنة، من خلال السباق على التعليم والتطور الاجتماعي والإندماج مع كل جديد. يدل على هذا آلاف المدارس ، والمعاهد ،

وعشرات الكليات ، ومئات أو آلاف الكوادر الجامعية من حملة (البكالوريوس، والماجستير، والدكتوراه) في كافة التخصصات ، ومن مصادر مختلفة. وينتشرون في مئات المؤسسات المدنية ، والعسكرية ، والأمنية ، والاقتصادية ، والصحية ، والتعليمية ، و(الحكومية ، والأهلية) العامة، والمختلطة ، والخاصة. وقد وصل الأمر أن بعض قرى المحافظة سبقت في تعليم أبنائها حدث الثورة ، ووصل عدد حملة (الدكتوراه ، والماجستير) فيها إلى عدد قد يساوي ، أو يفوق عدد مماثل في محافظات معينة مثل: (ذمار ، و صعدة ، أو مأرب ، أو الجوف) ما بين الأربعين إلى الستين كادر جامعياً ذي مؤهلات عالية وفي اختصاصات مختلفة .

ذلك هو فقط ما استحضرته الذاكرة في وقت قصير ، أعلم أن ذلك قد أهمل الكثير ، ولكنه قد قنع باليسير مما يؤشر القسمات الفكرية والثقافية في المحافظة ، ويجملها دون أن يفصلها ، ولجهد غيرنا المساحة الأكبر من هذا.

**وعلى الله قصد السبيل،،،**

## هوامش البحث ومراجعه

١] أنظر : د. محمد عبده محجوب : الاتجاه السوسيو أنثروبيولوجي في دراسة المجتمع ، وكالة المطبوعات ، الكويت، ب.ت،ص٣١-٣٢.

٢] ابن خلدون : مثلاً في مقدمته ذكر هذه العلاقة في سياق دراسته للمجتمعات الثلاثة (البداوة – الفلاحة – الحضارة) قبل علماء الاجتماع المعاصرين.

٣] د. حليم بركات : المجتمع العربي المعاصر ،ط١، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ص٨٧-٧٩.

٤] د. قايد الشرجبي : الشرائح الاجتماعية التقليدية للمجتمع اليمني ،ط١ ، دار الحداثة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص١٩-٢١ ، ص٨٤-٨٥.

٥] أيضاً ص٨٥.

٦] راجع أحمد محمد الحربي ، المسألة التعاونية ، خصائص الحركة التعاونية في الجمهورية العربية اليمنية ، ط١ ، الاتحاد العام للتعاون الأهلي للتطوير ، صنعاء ، ١٩٨٤م ، ص٦٣.

٧] د. حليم بركات ، المصدر السابق ، ص٨٢.

٨] أيضاً ، ص٨٣ للمقارنة مع تصورات ابن خلدون للعلاقة بين النظم في المقدمة .

٩] د. قايد الشرجبي ، المصدر السابق ، ص٨٩.

١٠] د. حليم بركات ، المصدر السابق ، ص٨٧=٨٨.

١١] علي بن علي صبرة ، مشروع الخطة الثقافية اليمنية الشاملة ، (بحث) مجلة الإكليل ذي العدد (١و٢) ، وزارة الإعلام ، صنعاء ١٩٩٠م ، ص٢٨٤.

١٢] د. عبد الرحمن شجاع ، اليمن في صدر الإسلام ، طبعة (١) ، دار الفكر المعاصر ، دمشق، بيروت ، ١٩٨٧م،ص١٨٥ ، وكذلك للمقارنة انظر م.ب. بتروفسكي ، اليمن قبل الإسلام وبعده، تعريب: محمد الشعيبي ، ط١، دار العودة ، بيروت ،

١٩٨٧م ، ص١٦٥ ، ود/ عبده علي عثمان ، محاضرة في ١٩٩٨/١١/٥م ، جامعة صنعاء.

١٣] د. حليم بركات ، المصدر السابق ، ص٣٢ ، وبتروفسكي ، المصدر السابق ، ص١٩٠ ، ود/ حمود العودي ، المثقفون في البلدان النامية ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص١٢.

١٤] م.ب بتروفسكي : المصدر السابق ، ص١٩٦.

١٥] أيضاً ، ص٢٠٩. وقارن : د. محمود عبد الفضيل ، التشكيلات الاجتماعية والتكوين الطبقي للمجتمع العربي المعاصر، ط١ ، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت ،١٩٨٨م ، ص٣١، والشرجي ، المصدر السابق، ص١٣٢-١٣٣.د

١٦] د. حليم بركات : المصدر السابق ، ص١٤٦ — ١٤٧ ، وقارن : إيلينا جولوبوفوسكايا ، ٢٦ سبتمبر، محمد طربوش ، ط١ ، دار ابن خلدون ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص١٤٧.

17] Gamal alldeen, H.dum, Al-Yemen social Economical, Ed Cairo, 1952pp, 9-13

١٨] قارن : د. أحمد قايد الصايدي ، حركة ١٩٤٨م ، ط١، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٨٣م ،ص٤٢. ومحمود عبد الفضيل ، التشكيلات الاجتماعية ، ص٣٢.

١٩] للمزيد من التفاصيل راجع : إيلينا جلوبوفسكايا ، حول مسألة الفآت الدنيا للهيكل الاجتماعي للمجتمع اليمني ، ت: محمد علي البحر (بحث) ، مجلة دراسات يمنية ، ع١٠ ، وزارة الثقافة والإعلام صنعاء ، ١٩٨٤م ، ص١٧٢-١٩٤، وعبد الفضيل : المصدر السابق : ص٨٤ ، ود/ حليم بركات : المجتمع العربي المعاصر ، ص١٨٤م ، والشرجي ، الشرائح الاجتماعية التقليدية ، ص١٩٣ ، وص٢٣٠.

٢٠] د. حمود العودي : التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية ،ط١ ، عالم الكتب القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص١٤٩ ، وقارن : د. بركات ، المصدر السابق ، ص٨٧.

٢١] د. حليم بركات : المصدر السابق ، ص١٠١، وقارن : أ؛مد محمد الحربي ، ٢٥ عاماً من العطاء التعاوني في اليمن، ط١ ، المجالس المحلية صنعاء ، ١٩٨٧م ، ص٥٣-٥٧ ، للمزيد من التفاصيل ، وكذلك د. عبد العزيز المقالح ، قراءة في أهداف الثورة اليمنية ، (بحث) ، مجلة دراسات يمنية ، العدد (٢٩) ، ط١ ، مركز الدراسات اليمنية، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ، سبتمبر ، ١٩٨٧م ، ص١٠، وإيلينا جلوبوفاسكايا ، اختلاف القوى الاجتماعية في الحركة الجمهورية اليمنية ، في الفترة الأولى للثورة ، (بحث) مجلة درسات يمنية ، ت: محمد علي البحر ، العدد السابق ، ص١٠٠،٩٥-١٠٢.

٢٢] علي بن علي صبرة : مشروع الخطة الثقافية ، مجلة الإكليل ، مصدر سابق ، ص٢٨٤-٢٨٥. وسيقوم الباحث بمشاركة زميل آخر بجمع وتنظيم وترتيب الكثير منها في دراسة خاصة (بالتراث الفني والأدب الشعبي للمحافظة) هي قيد الإعداد أو الجمع لا حقاً وسترى النور بإذن الله عما قريب.

٢٣] د. حمود العودي : التراث الشعبي ، مصدر سابق ، ص١٣٣-١٣٤.

٢٤] أيضاً ، ص١٣٤-١٣٥.

٢٥] أيضاً ، ص١٣٧.

٢٦] ص ١٣٩-١٤٨.

٢٧] د. محمد حاتم المخلافي : عوامل التكوين الحضاري لليمن، بحث مجلة الإكليل ، العدد (١)، صنعاء ، ١٩٨٩م،ص٥٩.

٢٨] د. عبد الرحمن الشجاع : اليمن في عيون الرحالة المسلمين، في ق.٤هـ (بحث) ، مجلة الإكليل ، العدد السابق،ص١٣٥.

٢٩] أيضاً ، ص١٣٨.

٣٠] إسماعيل بن علي الأكوع : المدخل إلى هجر العلم ومعاقله في اليمن ، ط١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ص١٤٥-١٤٩.

* الجندي : في كتابه (السلوك في طبقات العلماء والملوك) ، والبريهي : في كتابه (طبقات صلحاء اليمن) ، والجعدي: في كتابه (فقهاء اليمن).

** محمد يحي الحداد: في مؤلفه (التاريخ العام لليمن) ، والمقحفي في :(الموسوعة اليمنية) ، ج١، والقاضي : محمد بن علي الأكوع ، في مقدمة (السلوك) للجندي ، وإسماعيل الأكوع في مؤلفه (هجر العلم ومعاقله) في اليمن.

٣١] د. عبد الله الفلاحي : المعرفة والوجود في فلسفة أحمد بن علوان الصوفية ، رسالة ماجستير -غير منشورة- جامعة الكوفة ، ١٩٩٦م ، ص٢٢-٢٩ ، وله كذلك جهود اليمن في العلم والمعرفة العربية الإسلامية ، في ضوء تأثير مدرسة بغداد وبيت الحكمة العباسي (بحث غير منشور) ، مقدم للندوة الدولية للذكرى (المئوية الثانية عشرة) لتأسيس بيت الحكمة العباسي ، بغداد ، نوفمبر ٢٠٠٠م ، ص٢٨-٣١. وقارن : المقحفي ، مادة ذي السفال ، في (الموسوعة اليمنية) ، ط١، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ج١ ، ص٤٧٥ ، وإسماعيل الأكوع، المدخل ، ص١٤٩.

٣٢] عبد الرحمن البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، تحقيق : عبد الله الحبشي ، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء ، ت.ص،٨٣.

٣٣] أيضاً البريهي ، ص٨٤-٩٨ ، والأكوع ، المدخل إلى هجر العلم ، ص١٢٨،١٢٧.

٣٤] محمد بن علي الأكوع الحوالي : محقق : هامش السلوك ، ج١،ص٢٩.

٣٥] إسماعيل الأكوع : هجر العلم ، ص١٣٨-١٣٩، و١٢٤-١٢٥.

٣٦] أبي عبد الله بن محمد يوسف بن يعقوب الجندي : السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق : القاضي محمد بن علي الأكوع ، ط١، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٩٨٣م ، ج١، ص٣٦٩-٣٩٧ و٤١٣ ، وكذلك ص٢٩٠ ، حيث أشار الجندي

في هذه الصفحة إلى أنه قد خرج كذلك من بعدان العديد من الفقهاء من أمثال يعقوب ابن أحمد تلميذ الفقيه إبراهيم ابن أبي عمران وغيره.

٣٧] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١١٧ إلى ١٥٠ ، للمزيد من التفاصيل.

٣٨] أيضاً ، ص١٢٨ ، ١٤٩ ، والجندي ، السلوك ،ج١،ص٤٦٧.

٣٩] البريهي ، ١١٧-١٢١.

٤٠] الجندي ، السلوك ، ج١،ص٣٥٢ ، وكذلك ص٣٢٩و٣٩٣.

٤١] أيضاً ، ص٤٦٧ ، ٣٩٣.

٤٢] أيضاً ، ص٣٥٠ ، ٣٥١ ، وإسماعيل الأكوع ، المصدر السابق ، ص١٢٢و١٣٢.

٤٣] البريهي: المصدر السابق ، ص١٧١ إلى ١٨٠ ، والأكوع ، ص١٣٩ – ١٤٠ ، والجندي ، السلوك ، ج١، ص٢٦٨.

٤٤] الجندي ، كذلك :ص٢٦٨و٢٧٢و٢٩٤و٣٩٤و٣٧٥و٣٣٧و٣٥١ وقارن : المقحفي ، في الموسوعة اليمنية،ص٢٧٥.

٤٥] البريهي : المصدر السابق ، ص١٢٧ إلى ١٣١ ، والأكوع إسماعيل ، ص١٣١ إلى ١٣٤.

٤٦] إسماعيل الأكوع ، أيضاً : ١٢١-١٢٢.

٤٧] أيضاً : ص١١٦ إلى ١٣٦.

٤٨] أيضاً : ص ١٢٦ إلى ١٢٨.

٤٩] أحمد الحربي : ٢٥ عاماً من العطاء التعاوني ، مصدر سابق ،ص٣٤.

٥٠] للمزيد من التفاصيل أنظر : سعيد أحمد الجناحي ، الحركات الوطنية اليمنية من الثورة إلى الوحدة، ط١، مركز الأمل للدراسات والنشر ، صنعاء، ١٩٩٢م ، ص ٥٧-٢٠٠، لبيان إسهام أبناء محافظة إب في العمل الوطني في تاريخ اليمن المعاصر في كافة الأنشطة المختلفة .